

الغريب رافع راية العقلائية لا ينظر ولما يعتبر الإنسان إما من جانب البيو- فيسيولوجي-الثقافي. لهذا طمس كل ما لا يخدم نظريته [ولم يحتفظ إلا باللقاء حيوان مانوي وبويضة في حدود هذا البعد المادي، [أخرج الإطار الإنساني. [بهذا يكون بطريقة ما قد نكص من بعده الثقافي الى الطبيعة... وبما أن الأمر لا يتعدى حدود اللقاء بين الحيوان المنوي والبويضة محق من يعتقد (اقصد الغرب) أن لا خالق غير الوالدين والوراثة. وهذا فعلا ما يعتمده الطب العضوي الذي لا يعتبر شيئا آخر خارج هذا اللقاء الذي يحمل بصمات عملية المتخلىق بعيدا كل البعد عن براءة المصنع، التي أودعها المولى في رحم الأم والتي أشرت لها منذ حين .

قبل التلقيح تسبق ارادة المولى، يسبق المخلوق "ولقد خلقناكم ثم صورناكم"(الأعراف 11) المتخلىق هي المرحلة الموالية للمخلوق. وتعاد نفس المصيح في سورة الحشر: [" هو الخالق هو البارئ [المصور " [(الحشر 24) المخلوق قبل المتخلىق وهذا ما أشرت له في اشعار المولى الملائكة بخلق آدم قبل إيجاده. اشعار بخلق الإنسان الكامل المؤمن عل العبادة الجديدة. نفس الشيء يعاد مع كل مخلوق من ذرية آدم. هذه العملية تسبق عملية المتخلىق. كل مخلوق مكلف بمهمة، بها يرتبط معنى وجوده، وهذا معنى " البارئ". [هذه مراحل تتم كلها والمعنى بالأمر أي الإنسان "لم يكن شيئا مذكورا" (سورة الإنسان 1) ... بين أبويه وأهله وذويه. إذن الخالق البارئ هو الذي يعطي الأمر بالمخلوق وليس الوالدين في لقاء الأجساد. "هو البارئ" المتفرد الوحيد ببراءة المخلوق.

كما نعرف كل مبدع لعمل ما، يسجل اختراعه وتسلم له براءة، أي شهادة تثبت سبقه على غيره في اكتشافه. الخالق هو المتفرد ببراءة المخلوق. لكن ككل مكتشف لا بد له وضع اكتشافه أمام الجميع، حتى يستفيد به ومنه كل من يهمله الأمر. المولى كذلك اعطى هذه الصلوحية لمخلوقاته ولكنه يبقى هو المتصرف فيها في كل أطوار و مراحل عمر المخلوق " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر..."(الحج 5) منذ البداية : "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم " (آل عمران6) . هو الذي يصوركم في الأرحام وليست نطفة الوالدين . نطفة الوالدين تابعة وليست سابقة لهذه المشيئة وستشكل [على هذا النموذج [... هذا ليس بكلام يقال هكذا نحفظه ونردده في المكتاتيب ونصلي به دون الإستفادة منه عمليا فيما يصلح حالنا وحال النسل عندنا ويرجعنا للمنهج الرباني. ولكن من سوء حظنا [حالنا في العالم الإسلامي [نجتز التنزيل حتى يكتشف الغير عمليا الحكمة مما نجتز منذ قرون لنتبها بان المولى ما فرط في كتابه من شبيء.

ج. الفطرة

أين يحمل الإنسان هذا التمشي وغيره مما يهيم انسانيته؟ في فطرته. [بها ومن خلالها يكون التواصل المستمر بين الخالق [و مخلوقه من جهة و بين المخلوقين فيما بينهم من جهة اخرى. وهذا الجانب يمثل الجوهر لانه شاهد على نشأة و تطور الايمان و الضلالات التي وقعت فيها الإنسانية وهو الجانب القوي عند الأنبياء والمرسل وبعض الصالحين من عباد الله. إذن في الفطرة جانب العبودية المخالصة لله وجانب القيام بشروط هذه العبودية. [الفطرة كما بينت سالفا هي ما يقابل الغرائز للنفس. الغرائز عند الحيوان هي الجانب العضوي الذي يشحن الجانب الوجداني، وهي كلها تابعة للعبودية التامة لله وللقيام بواجبات هذه العبودية. عند الإنسان، الفطرة،

الجانب الأول منها رافده الروح الذي بدوره سيكون سند الجانب المثاني جانب القيام بوجبات العبودية وهو العقل. لأنه بهذا العقل ميز الإنسان، وبهذا الإنسان - العقل ميزت عبادته للخالق عن عبادات بقية المخلوقات. إذن الجانب العلوي للفطرة، إذا صح التعبير، جانب العبودية التامة ميزته المسكينة والمطمأنينة (وهو يمثل العقل المستفاد عند الفرابي) وهو المشار له بعالم المياطن وجوهره الإيمان. الإيمان هو الدين الغير مقيد بشرائع. وكما المادة تحمل سر وتاريخ الكون، الفطرة تحمل سر وتاريخ انسانية الإنسان. هنا يتنزل في اعتقادي ما ذهب له جهابذة الفكر الإنساني من المسلمين في بناء نظرياتهم حول المعرفة. حاول علماء الإسلام ومن قبلهم الكثير آخرهم اليونانيين الذين تركوا بصماتهم في الفكر العربي الإسلامي عموماً وفي هذا المجال خصوصاً، فهم السر في اكتساب المعرفة. المعرفة بالنسبة لعلماء الإسلام لا تقع من خلال الإدراك المباشر بالمحسوسات (وهذا ما يميزنا عن نظرة الغرب للمعرفة) ولكن بتدخل قوى متعدده ومتفاوتة الوضائف حسب الكائنات. على أن الإنسان يمتاز على الكل بالمنزوع نحو التفكير بسبب تدخل قوى الإدراك و المعرفة التي تميزه بالتجريد وادراك المعاني الكلية. ويضع علماء الإسلام ثلاث مراتب لهذا العقل المدرك. العقل الهولوني ويمكن تقريبه بتشبيهه بألة التصوير التي لم تلتقط بعد صوراً لكنها جاهزة لذلك. والعقل بالفعل الذي تحصل على صور الموجودات حيث يدرك المعقولات بواسطة المعرفة المتركمة المكتسبة وهذا الانتقال من الوجود بالقوة للوجود بالفعل لا بد له من تدخل عامل آخر أعلى مرتبة من العقل الإنساني ما يسميه الفرابي مثلاً العقل الفعال (عقل فلك القمر عنده). والعقل الثالث هو أسمى من العقليين المذكورين وهو العقل المستفاد. هذه "الإستفادة" تحصل بعد استكمال العقل المنفعل استعابه المعقولات كلها حيث يصبح عقلاً بالفعل وكذلك معقولاً بالفعل. ويصبح المعقول منه يعقل وهذا العقل هو أرقى العقول وهذا لإبتعاده عن المادة و لإقتراجه من العقل الفعال. هذا العقل الفعال هو وهب الصور حيث تفيض منه كإشراقات تنزل على الجميع ولكن الإستفادة منها متفاوتة وهذا حسب التحرر من المادة، على ان الملهم هنا هو المولى جل وعلى.

إذن بإيجاز نظرية المعرفة عندهم وخاصة عند الفرابي قائمة على اسس ثلاث حسية وعقلية وإشراقية. عملي هذا يوفق بين ما ذهب له علماءنا وهذا بإعطاء مقوماتهم قاعدة عملية لا نلتجى فيها لإستعمال مقاربات أو مفاهيم يمكن أن تستعصي على الإدراك و يكون لنا الدليل العملي لإثباتها. آلية الفطرة هي حلقة الربط بين المحسوس والمعقول، والمعقول بجانبه الروحي والمحسي. الجانب العلوي من الفطرة هو ما يعرف عند الفرابي بالعقل المكتسب، والجانب السفلي المتعامل مع العاقلة هو الذي يسميه العقل بالفعل. وهذه الآلية يحملها كل منها ولكن استعمالها هو الذي يميز بين الحاملين لها.

الجانب الدنيوي من الفطرة هو الذي سيتأثر بالضلالة أما الجانب العلوي يبقى في منأى عنها. كيف ذلك؟ الجانب السفلي من الفطرة هو الذي يتواصل مع عالم الشهادة ولهذا جانب كبير من طاقته طاقة مادية. عكس الجانب العلوي منها الذي يكون في منأى عن الطاقة المادية حيث أن كل طاقته روحية. وهذا الجانب الدنيوي جوهره الإسلام. على أن الإسلام يمثل الجانب الإيماني في تحاكيه مع الواقع أي كمعاملات و من هنا كان وجوب التشريع. من أين تأتي هذه الطاقة المادية؟ جزء منها من الوالدين عن طريق الوراثة وجزء آخر من البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الفرد بما فيه المأكل والمشرب. ومن هنا امكانية سيطرة هذا الجانب المادي عن الجانب الأول. ويمثل هذا سر الخلل والإضطراب في حياة الفرد. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم " يولد الإنسان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". وهذا سبب من الأسباب الرئيسة لإبتعاد الغرب عن الفطرة السليمة. حيث تطمس التبرية والمحيط الجانب العلوي من الفطرة بطاقته الروحية فيصعب على الفرد النجاة ويكون لقمة صائغة لجميع الضلالات والفتن. ومن أكبر نتائج هذا الانفصام بين جانبي الفطرة العلوي والسفلي هو ما يسمى مرض العصر: الإكتئاب. هذا الإختلال يمثل نوعاً من الكسوف حيث يطغى الجانب المظلم على الجانب المنير. الإكتئاب بذرته عدم الإلتزام بمبدأ انسانية الإنسان في جانبيها الوجداني والمادي. بحيث يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي... وعدم الإلتزام هذا يبذر قبل ولادة الفرد. فتكون البيئة و التربة التي تبذر فيها البذرة بيئة قاحلة من الجانب الروحي. فتكون علاقة الوالدين بالحياة علاقة جوفاء من كل مرجعية وجدانية. فتكون الدنيا هي كل مرجعيتهم والعلاقة الجنسية هي مخرجهم الوحيد من عبوديتهم من وثنياتهم. وحتى في هذا المقام تستعبد الأنتى فتستغل جسدياً ويصبح جسدها يباع ويشترى تحت مسميات وتسميات مختلفة. إذن يولد المولود وهو يحمل ضلالة والديه الضلالة تتمثل هنا في كون الفرد يكون محجوباً عن البعد الإيماني. من هذا المنطلق تكون النطفة التي سيصنع منها مشبعة بأحاسيس الوالدين و هو ما يجعل الرحم الذي ستغرس فيه النطفة مظلم. رحم الأم مظلم لأنه محجوب عن الجانب العلوي من الفطرة ولغياب المودة والرحمة بين الوالدين. وسيكون بذلك الأرضية القاحلة التي ستبذر فيها هذه البذرة في غياب المرجعية الروحية وما تقتضيه من ذكر وشكر وحمد. فينشأ الجنين رهين المصراعات الحينية للأبوين التي هي في مجملها مادية بحتة فتكون هذه الطاقة السلبية حجاباً يطمس البعد الوجداني باعتبار أن انسانيته تتطلب أكثر من الرعاية المادية الغريزية البحتة. فيتكون الجنين في هذه الظلمة في هذه

العممة. فيتكون الجنين محروما من [بذرة بعده الوجوداني والباطني] فينشأ مختل المتوازن منذ المبدئية. [وكما سنرى لاحقا أن ما يسمى بالمبعد الباطني (أي الجانب العلوي من الفطرة بالنسبة لي) يحمل النموذج الإنساني للإنسان وهو الذي يرجح الكفة مع الجانب الفيزيولوجي البحت وهو الذي يعطي معنى للبعد الفيزيولوجي. سأرجع لهذا الموضوع باكثر تفصيل عند التعرض للأمراض النفسانية. إذن الركيزة الأولى للقيام بالعبودية هي الفطرة. لنرى الآن المخ أو الجهاز العصبي العلوي الركيزة الثانية للقيام بهذه العبودية .

د . [] الجهاز العصبي العلوي

كما بينت الجانب السفلي من الفطرة المختص بالعقل [وكما بينت جوهره الإسلام، طاقته متأتية من سلالته وبيئته بما فيها طعامه وشرابه. إذا كان الجانب السفلي يتعامل مع السدالة والمحيط فمع من يتعامل الجانب العلوي النوراني فيقال الله تعالى: [] يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون» [] الأَنْفَال: 24

لماذا يدعوا الله ورسوله؟ للتوحيد الذي هو مضمون العقيدة. وما هي حجة هذه الدعوى ودستورها؟ القرآن والسنة. إذن القرآن فيه ما يحيي. ما يحيي ماذا؟ يحيي ما طمسته الضلالة [والغفلة، الجانب العلوي من الفطرة كما ذكرت. إذا كانت مشاهدة الطبيعة بظواهرها المختلفة تحيي المعادلة أدوات الجهاز العصبي فيتفاعل معها وتحل رموزها وتستنبط قوانينها، كذلك القرآن والسنة فيه ما يوقض الفطرة السليمة فيكون لها مثل الماء يحيي، فتحيي الفطرة بحيث تتجاوب الفطرة مع موضوع تأملها ومفجر طاقاتها. لأنه لو لم تكن الظواهر الطبيعية لما تفتق ذكاء الجهاز العصبي العلوي وطاقاته الخلاقة الإبداعية، كذلك القرآن والسنة [للفطرة فيهما ما يشحن هذه الملكة. اخذ مثال على ذلك. نجد مثلا في آية الكرسي التي هي من أعظم آيات القرآن، ما [يغذي هذين البعدين في الفطرة. [اقصد جانب العبودية والقيام بها. جوهر آية الكرسي هو اسمين من أسماء الله الحسنی " الحي " و " المقيوم ". ما معنى " الحي " أي مالك الحياة، هو الذي يعطيها وينزعها عن طريق الروح. إذن الله هو مالك الروح بالرحمة والرحمة هي قمة المسكينة والطمأنينة [ألا يذكر الله تظمنن القلوب"، المسكينة والطمأنينة التي مقرها الجانب العلوي من الفطرة كما سبق تبيانها. و " المقيوم " هو المكلف بالأرزاق في الدنيا والآخرة المخ... وهذا ما يخدم جانب القيام بالعبودية ما يخدم البعد المادي في الإنسان من غذاء وراحة وكساء الخ... إذن تعتبر هذه الآية من [ابلغ الآيات المؤثرة [المشاحنة للفطرة وهي تمثل المدد المتواصل للإنسان لتجديد وشحن إيمانه. إذن تمثل الفطرة [للقرآن المارض التي سيتعامل معها من خلال العقل. وبهذا تكون آية الكرسي من ضمن منافعها حماية الفطرة. " فيها ما يحيي " كما

بينت في الآية

قال الله تعالى: [] []

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون»

[] الأَنْفَال: 24 []

. إذن القرآن يحمل هذه الطاقة الروحية العالية ولذلك الحكمة من قراءته بخشوع ليضجر ينابيع الرحمة فينا

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا

نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ»

الحديد 16. »

فَاللَّهُ كُفِّ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُخْبِتِينَ [34] الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ

»

(الحج 34- 35) عندما تتفاعل الفطرة بشحنها الروح تعطي نبضات للمخ... فيتلقاها الجهاز العصبي فيخف ضغطه وينقص تشنجه واضطرابه فيميل بذلك للمسكينة والتأمل فينتج عن ذلك مادة الأندرفين مادة الراحة والهدوء. لماذا لا يستطيع الكثير الوصول لهذه المسكينة هذه الراحة المشاحنة؟ لأن النفس تدخل على الخط. كيف؟ النفس عامل التوتر في الإنسان عندها آليات تأثير ومن ضمنها الخوف. في أعماق الإنسان المسكينة التي ينزل فيها التوتر الى أدنى درجاته [تستغلها النفس لتوقض في صاحبها قلق الموت. الميت في الخيال هو الذي لا يتحرك ولما يتكلم فترتعش اللاشعوريا الفرائس ويستنفر المرقد فتجد النفس الفرصة لتمده بمادة تشنجه وحيرته، وفي كل الأحوال المشقاء والتعاسة ولما الموت.

من أين تأتي هذه الطمطأنية للجنيذ؟ وهنا نجد حكمة من حكم " وخلقنا لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعلنا بينكم مودة ورحمة"

والرحمة التي تجمع بين الزوجين يعيشها الجنين طمأنينة وسكينة. وفي غياب هذه " المودة والرحمة "

الجو الروحاني الذي يحمله الوالدين يوقع فيه كالشرخ فتدخل النفس لملء هذه الضجوة. وهذه من بذرات الحيرة في حياة الإنسان والبحث عن المعوض للسكينة المفقودة وهنا نجد بذرات الإدمان على اختلاف انواعها. يهرب الإنسان الى المشنج □ مثل المشاي والقهوه والمتبع الخ أو المهيج المسكر كالخمر أو المفقود للوعي المخدرات الخ... (ساتعرض لهذا بالتفصيل لما أتعرض الى النظرية النفسية المستمدة من ارثنا الحضاري). إذن هذين البعدين الفطرة والعقل هما ركيزتا تكليف آدم.

2 - من حكم التكليف لآدم وحواء

عكس الغرب نحن نعتقد أن للكون خالق... بالنسبة للخالق الكون مخلوق لمهمة و هي خدمة المخلوق الذي سيكلف بالعبادة. إذن هناك العبادة والمكلف بهذه العبادة. بعد مقومات ما يخدم القائم بهذا التكليف والمكرم بهذه الرسالة، خلقت الصورة البشرية: آدم عليه وعلى نبينا السلام. خلق آدم بعدما أعطي ما يلزم لإتمام المسيرة وإنجاحها: الإيمان،

وكذلك مفااتيح التعامل مع محيطه

"عُلم الأسماء كلها": العقل. ثم عرض عليه من سيعمر الكون معه من ملائكة وجان وشياطين وحذر مما ينتظره من عقبات ستعترضه وأعطى هذا المخلوق ما يميزه عنهم إذا احتفظ وحافظ على ثوابته: الفطرة والعقل.

سؤال متى بدأ المشروع العبادي؟ هل هو ب / مع خلق آدم؟ منطقيا لنا. لماذا. لأن هناك دائما "إني جاعل في الأرض خليفة" إني جاعل هذا في المستقبل. لكن لم يجلب بخلد الملائكة أن يسألوا المولى عن الحكمة من هذه المشيئة. إذن هناك العبادة المتميزة وهناك من سيقوم بها. وبين هذا وذاك بون. لأن الذي سيقوم بهذه الرسالة سوف لا يلزم بها كبقية المخلوقات. بمعنى أنه سيخبر يقوم بها أو لا يقوم بها. ولهذا

لا بد لهذا النمط المميز من نموذج يكون هو المرجع للعبادة الكاملة. لا بد من رمز يمثل كمال العبودية كما أرادها بارئها لعباده... فكان المؤمن عليها هو سيد الخلق الأمين.

بعثت و آدم بين الطين والماء

يقول المصطفى بعثت قبل خلق آدم،

كيف؟ بطبيعة الحال لم يبعث جسديا بل نموذج العبادة المنتظرة من آدم وذريته... ولذلك لا يكتمل معنى التوحيد في جانبه الإنساني إلا برسالة محمد عليه أفضل السلام وأزكى التسليم. ولذلك هناك دين واحد "إن الدين عند الله الإسلام" نقول هذا ليس تشييعا لديننا الإسلامي بل المنطق يفرض هذا. كل ما سبق الرسالة الخاتمة هو ديانة وليس دين. لأننا لا نستطيع أن نتحدث عن الدين إلا في صيغته النهائية. بذلك هو مهين

على ما سبقه ومكمل له. الرسالة الخالدة هي التي جاء بها المصطفى، وبعده لا نبي ولا رسول. ترك لنا ما إن تمسكنا به لن نضل أبدا: الكتاب والسنة. بعد محمد صلى الله عليه وسلم النبوة للعقل. كما أنه عن طريق الرسل عرضنا الخالق وعن طريق العقل نصدق رسالة

الأنبياء.

بعد إبداع مقومات ما يخدم القائم بهذا التكليف والمكرم بهذه الرسالة، خلقت الصورة البشرية : آدم عليه وعلى نبيينا السلام . خلق آدم بعدما أعطي ما يلزم إتمام المسيرة وإنجاحها :الإيمان، وكذلك مفاتيح التعامل مع محيطه "عُلم الأسماء كلها" ثم عرض عليه من سيعمر الكون معه من ملائكة وجان وشياطين وحذر مما ينتظره من عقبات ستعترضه.

الواحد لا يعبد الواحد، الكثيرة هي التي تعبد الواحد ومن هنا كان لا بد من إيجاد صيغة لهذا الغرض... ومن هنا كانت الحكمة من إيجاد حواء. حواء لم توجد كنسخة مطابقة للأصل من آدم ولكنها وجدت كصورة منه. ما معنى هذا؟ □ □ □ □ □ للأصل امتيازاته و للصورة المأخوذة منه كذلك. الامتياز هنا هو تكليف أكثر منه تشريف. في ماذا يتمثل هذا التكليف؟ في إئتمان كل منهما على ما يحفظ المسيرة ويوصلها لغايتها. وهذا أمر أساسي أسىء فهمه لسوء الحظ. الأصل أوثمن على العقل. لماذا؟ لأمر مهم.. لأنه لا يمكن تصور مسيرة في غياب العقل... لهذا عُفي آدم من الطمث والحمل والرضاعة... الخ. بالرغم أنه كان أم حواء "وضعه" لها كان بطريقة مخالفة جنبته كل هذه الجهد والعناء من طمث وحمل ورضاعه وما ينجر عليها من تعب و تفرغ مطلق لتربية النشئ. في المقابل الصورة، حواء، كلفت بهذه المسؤولية الجسيمة ولكن هذا لا يعني أنها ستكون قاصرة في كفالة الرجل. لا أبداً، بل عهد لحواء مسؤولية جسيمة: ائتمانها على الفطرة، بما أنها الحاملة للرحم (لا ننسى ما قلته من أن العقل بدون الفطرة أجزم) ونجد هنا نفس المنطق، آدم وحواء يحاملان شقي التكليف: العقل و الفطرة. في ائتمان حواء على الفطرة مسؤولية جسيمة وخطيرة في آن. لأنه إذا تعطل العقل، تعطله لا يهم إلا صاحبه أما إذا فسدت الفطرة ففسادها سيهم أجيالاً بكاملها. ومن هنا يكون دور المرأة □ في الحياة أسمى وأفضل وأزكى من الدور التي حشرت فيه على أنها ذاقصة عقل ودين ليسهل على الرجل استعبادها كبقية البهائم أو المتاع. وهنا تنزل وصية النبي الكريم "أوصيكم بالنساء خيراً".

المسؤولية المتوازنة الحكيمة هي ضمان نجاح المشروع الإنساني ككل وفي اختلاله تعطله وفي تعطله عناء المكلف بالمسؤولية أولاً وقبل كل شيء، لأن الله بالغ أمره لا محالة... ومن هذا العناء، الإحساس بالاعتراب على نفسه وعلى محيطه والاعتراب هو الطريق للسيارة للضياع وهذا ما يعاني منه الغرب بالرغم من اليسر المادي والاجتماعي والصحي والترفيهي والتعليمي الذي يعرفه. بالرغم □ من المتخمة التي تعرفها جل هذه المجتمعات وبالرغم من الديمقراطية التي يتمتع بها الجميع وحرية الرأي والتعبير ورفع الضوابط الأخلاقية والتربوية حيث لا مرجعية جماعية لذلك، إلا القانون الذي يضبط الحياة الاجتماعية، ورغم هذا كله فإن أعداد المنتحرين في تصاعد رهيب و كذلك الاجرام بجميع أنواعه والإدمان على مختلف أنواع المخدرات وجميع أنواع الشذوذ الفكري والجسدي والجنسي الخ... وفي المقابل أصبح الإبداع في هذا الجو وفي هذا الإطار يحوم حول نوع من التقنية الحرفية همها السابق لمزيد من الربح بالتفنن في خلق حاجيات ورغبات طفيلية تخدم الغرائز والأنانية على حساب كرامة الإنسان الأساسية من تعليم وعمل وصحة الخ... وثقافة هزيلة منطلقها ومرجعها الغرائز وكما يقول المثل العربي "إذا لم تستح □ افعل ما شئت" وإذا بالمعابد لعبادة الشيطان والنار... تقام باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وتفتح الهياكل وتنظم المهرجانات المصاحبة للشذوذ الجنسي والفكري وهذا كله باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير. إننا، قطع الفرد من روافده الأساسية وحشره في اجتماعيته هي من أسباب عذائه.

3 . اجتماعية الفرد التي صاغها الغرب هي لتجاوز إنسانية الإنسان

الغرب الذي قام بالفصل بين وجهي الفطرة العلوي والسفلي يحاول استئصال البعد العلوي من مرجعية الإنسانية قاطبه، بطرق مختلفة... ومن هذه الطرق فصل

الدين عن المعاملات. بعد أن أنكروا وجود الإيمان كعامل فطري في الإنسان وأبدله بطبيعة حشرت الإنسان في اجتماعية ميزتها التنظيم لمزيد من التحكم، فأصبح بذلك حال المجتمع كحال القطيع الذي يفترض أنه امتداد له.. وعضو التشريعية بالقوانين التي تسنها الأغلبية البرلمانية كل حسب أيديولوجيته ومنطلقه المذهبي السياسي. وهنا نجد خلطاً مريباً فالمفردات السياسية هي نفس المفردات الدينية لكن بلغة محايدة إذا صح التعبير وهي من إبداعات عباقرة رجال عصر الأنوار والنهضة الغربية. كان لزام عليهم القيام بذلك بعد تمكنهم من الفصل بين وجهي الفطرة.

الإيمان في جانبه العملي الغاية منه حماية الفرد من نفسه (ما وقع بين آدم و إبليس) وهنا المقصود هو المحافظة على الجانب العلوي من الفطرة (علاقة المخلوق بخالقه)، وحماية المجتمع من بعضه البعض (حتى لا يتكرر مع وقع بين قبيل وهبيل) والمقصود معاملات البشر بين بعضهم البعض. إذن الغاية الأولى والأخيرة من الدين هي الحماية. هذه الحماية لها دستورها وألية تشريعها. وبما أن التشريع موجه للممارسة وجب مراعات شروط الممارسة ومن هنا وجوب خضوعه لسنة التطور مع المحافظة على مرجعيته الأساسية القرآن والسنة وخضوعه في تشعباته الحياتية اليومية للإجماع والقياس. وإذا أضفنا وجوب الأخذ بالإعتبار، بالنسبة للمشرع، بالمعرف والإجتهد تصبح كل الأحكام شرعية بمعنى لا تتجاوز الحدود ولا تضرب بالممارس في ذاته ولما في اجتماعيته أي في علاقته بذاته أو في علاقته بغيره معتبرين في ذلك:

الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور. أليس هذا بمجمل مجال ومرجعيات التشريع في العالم. بمعنى آخر أن الأحكام الشرعية أو الدستورية (القانونية) هي من استنباط البشر في آخر المطاف. هنا نجد حقيقة يحاول العلم المخبري تجاوزها وهو نكران العامل الذاتي في هذا التمشي ومن هنا جاء اتهام نفسه بالموضوعية. فليس هناك من موضوعية تنفي أو تقصي العامل الذاتي. لأن الموضوعية حيدت عن مكانها بمعنى أن الموضوعية هي في المرجعية التي نستند إليها وليس في ملاءمة المرجعية وتشعبات الممارسة اليومية. مثال على ذلك جاء إعرابي إلى صحابي جليل وسأله: هل للقاتل من توبة؟ فتفحص فيه الصحابي وقال نعم للقاتل توبة... ثم بعد مدة وجيزة دخل ثان وسأل نفس السؤال: هل للقاتل من توبة فتفحص فيه الصحابي وأجاب به بلا، ليس للقاتل من توبة. بعد ذهابه تعجب بقية الصحابة الحاضرين. فأجابهم إعرابي في عيني الأول أنه قتل وانتهى فاردت إهانتته على التوبة أما الثاني رأيت أنه لم يقتل بعد ولكنه قادم على القتل فاردت رده. قرب الصحابي من فطرته هو ضامن موضوعيته رغم اختلاف أجوبته. لو كان الصحابي يطبق علماً موضوعياً... لوصف للمتعاقبين نفس الوصفة باسم الموضوعية.

أما السياسة مثلها مثل الدين همها رعاية مصالح المواطنين. والمصلحة هنا تبدأ فيما بين الفرد ونفسه حتى لا يرمي بنفسه للتهلكة وفيما بينه وبين غيره وهو باب المعاملات. القاسم المشترك بين الدين والسياسة هو الإهتمام بالإنسان ولكن كل منهما يتناولهما بمصطلحاته وبمفاهيمه. وعضو أن يتكامل دورهما تضاداً. في ماذا يتمثل هذا التكامل؟ الدين يكون الرادع الفطري الذي يبني عليه المشرع. وفي مقابل ذلك القانون يكون العامل المكتسب الذي من خلاله نصل للفطري في الإنسان بما أن كل منهما هدفه الإستقامة. لكن إذا شطب أحدهما السياسة تختزل في الجانب الأمني والدين في "الدروشة". والفهم المخطئ للدين والسياسة هو السبب في التفريق بين النموذج الإنساني كما حملته الفطرة والصورة البشرية كما اقتضت اجتماعيته.

النموذج الإنساني الأول ليس بآدم كما يظنه البعض. آدم هو الصورة البشرية الأولى... أما النموذج الإنساني هو سيد الخلق محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزك السلام: "بعثت و آدم لم يزل بين الطين والماء" (حديث شريف) ولما غرابة في ذلك بما أن المعنى يسبق دائماً الصورة. وهذا أمر أسيد فهمه وهو سبب من أسباب تعثر وتعطل المسار الإنساني. لقد شطب النموذج ولم يُحتفظ إلا بالصورة حيث أقتصر البحث كبشر أو كقرود...

آل هذا التمشي إلى القطع مع الجانب الوجداني مع آدم ولم يعترف له إلا بالجانب العقلي ليسهل تجاوزه فيما بعد.

إذن المقطع مع الجانب الوجوداني أفسح المجال إلى الجانب العقلي المبتور من واحد من أهم روافده: الایمان. إهمال الجانب الوجوداني كرس اجتماعية آدم وأهمل رسالته وهذا حيف على إنسانية الفرد الاجتماعي بحيث أصبحت البشرية بدون رسالة. ولما يمكن أن تنحصر رسالة الإنسان في عدم اضطراب اليورسات حتي تحافظ التوازنات الاقتصادية على نوع من الإستقرار ويفرض هذا لو أدى الأمر بالسلاح... هذا المنطق الأعرج فتح الباب على مصراحيه لكثير من الاجتهادات النظرية التي فرضت هذا التمشي المتمثل في شطب الجانب الروحي الوجوداني وعلى راس هذه النظريات نظرية النشوء والارتقاء والتي أخطر ما فيها تطبيقها العملي من طرف المدرسة السلواكية الذي يتجاوز إنسانية الإنسان.

الاعتراف لآدم بالجانب العقلي فقط كرس اجتماعيته وجعل منها حجر الأساس لوجوده، فأصبحت الحياة الاجتماعية بذلك مجموعة علاقات سلوكية تربوية لا مرجعية أخرى لها خارج قاعات الأيوين والنظام التربوي المسائد لتكريس الأيديولوجية المهيمنة. ماذا نتج عن هذا المنطق؟ أصبح العقل عند الفرد أقرب منه للغريزة عند الحيوان، همها المحافظة على وجوده المادي وهذا بتأقلمه وانصهاره في محيطه... حيث أن الكلاً هو أساس الحياة مع الماء. وهذا حالنا اليوم أصبح العقل غريزة همها وجود تقنيات جديدة للعجلة الاقتصادية التي طغت على بقية محاور الحياة وفي سبيل دوران هذه العجلة الجهنمية تهتك الأرض والعرض وكما عند الحيوان الذكر المهيمن يأخذ شرعيته من قوته... ولم يعد للقانون أو للأخلاق أي اعتبار.

الإنسانية في نموذجها الأول مؤتمنة على الایمان ومضمونه كلمة التوحيد وكل الأنبياء ابتدؤوا رسالتهم ب: لا إله إلا الله. ولما يعقل أن يكون المخلق خلق للتفنن في الأكل والشرب واستباحة حرمات بعضهم البعض. كلمة التوحيد هي مضمون الأمانة: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولما" (الأحزاب 72). إنسانية الفرد ليست بافتراض نظري خيالي بالعكس هو واقع ملموس لا تمثله اجتماعية الفرد في نموذجها اللغوي كما يفترضه علم النفس التحليلي. هذا البعد المسؤول عنه العقل في "وعلم آدم الأسماء كلها" ولكن هذا العلم لم يعط هكذا لإجادة الشعر ولإنتاج تقنية همها خدمة الآلة الاقتصادية بل كوسيلة للمعرفة. المعرفة الأولى والأخيرة تبدأ وتنتهي بمعرفة المخلق: لا إله إلا الله. وهذا هو المقصد من التمييز بين النموذج الإنساني الأول والمصورة البشرية الأولى ومغزى إشارة المصطفى في حجة الوداع: "أيها الناس إن الزمان استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض" بمعنى به ابتدئ في كلمة الافتتاح في "ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" وبه تأخذ هذه العبادة خاتمتها النهائي في "لا إله إلا الله"

منذ البداية كان

التعريف بها ونشرها يمثل سر الوجود عن طريق الرسائل الخاتمة. بعده

أصبح للوحي دستوراً القرآن، ووسيلته العقل. أصبح للحقيقة باباً واحداً ومعنى. وكل من سيبحث عن الحقيقة خارج هذا التمشي فهو والهم.

نرى كيف تجاوز الغرب هذه الحقيقة وأصبح يبحث عنها عن طريق الجهاز العصبي العلوي.